قضايا

«مصطفى»، مرشد انتفاضة 1941 في العراق، هو الحاج أمين الحسيني، مفتي القدس الذي اختار اسمًا حركيًا له في العراق، في تلك الحقبة المضطربة بالحوادث الكبرى. ما هي حكاية المجموعة السرية التي ترأسها الحسيني. هنا، إضاءة على صفحة مجهولة من تاريخ العراق

صفحات مجهولة من تاريخ معروف [2/2]

من هو «مصطفى» مرشد انتفاضة 1941 في العراق؟

صفر أبو فخر

الحاج امين الحسيني، مفتي القدس، في منزله في المنفى في لبنان في 1/ 10/ 1938 (Getty)

بعد اندلاع الحرب العالمية الثانية، شرعت بريطانيا في التشديد على سلطة الانتداب الفرنسي في سورية ولبنان، لمنع الفلسطينيين من الاستمرار في نشاطهم السياسي والعسكري، انطلاقاً من دمشق، فبادر الفرنسيون إلى اعتقال محمد عزة دروزة في دمشق، وراحت بريطانيا تلح على تسليم الحاج أمين لإرساله منفيًا إلى موريشوس. وعند ذلك، شدد الفرنسيون الحراسة على منزل مفتي فلسطين في زوق مكايل. ولمّا علم الحاج أمين أن فرنسا أعدت سجنًا آخر في تدمر لقادة الثورة الفلسطينية العسكريين، وسجنًا آخر في بكفيا للقادة السياسيين، راح يفكّر في سبيل ما للخروج من ذلك الشَرَك. وفي 1939/10/13، أي بعد سنتين بكمالهما وتمامهما منذ مغادرته القدس، وصل خفية إلى دمشق، حيث لم يكن هناك حدود بين لبنان وسورية.

ومن دمشق سافر بالصحراء إلى بغداد التي وصل إليها في 1939/10/15 (راجع: عبد الكريم العمر، مذكرات الحاج محمد أمين الحسيني، دمشق: دار الأهالي، 1999). وفور وصوله، تحلق حوله عدد من أعلام النضال القومي، أمثال عز الدين الشوا وممدوح السخن وواصف كمال ودرويش المقدادي (من فلسطين)، ومحمد علي حمادة (من لبنان)، وصدّيق شنشل وموسى الشابندر ومحمد حسن سلمان ويونس السبعاوي (من العراق)، وهؤلاء كانوا أعضاء سريين في «الحركة العربية» السرية التي أسسها في بيروت سنة 1935 الدكتور قسطنطين زريق (من سورية)، ومعه فؤاد مفرج وشفيق جحا وآخرون.

و«الحركة العربية» كانت محصلة لاندماج مجموعة قسطنطين زريق (جماعة الكتاب الأحمر) و«جمعية التحرير العربية» التي أسسها في سنة 1929 فريد زين الدين (سوري من أصل لبناني) ودرويش المقدادي (فلسطيني) ونافع شلبي (سوري) وكاظم الصلح وتقي الدين الصلح (من لبنان)، وانضمت إليها مجموعة المناضلين الفلسطينيين (واصف كمال وممدوح السخن وفريد يعيش) بعد اتصالهم بفريد زين الدين في نابلس. وجرّاء فشل الثورة الفلسطينية الكبرى واندلاع الحرب العالمية الثانية والتضييق الفرنسي المتزايد، رغب قسطنطين زريق في الاستقالة من قيادة الحركة العربية السرية، فتولى كاظم الصلح، ثم درويش المقدادي رئاسة الحركة، ونُقل مقر الحركة إلى بغداد.

وهكذا تجمع في بغداد آنذاك عدد كبير من أعلام الحركة القومية العربية الذين التفوا حول الحاج أمين الحسيني، وسلّموه زمام القيادة وبايعوه بالزعامة، ووضعوا معه خطة لتخليص دول المشرق العربي من الاستعمارين الانكليزي والفرنسي، وتوحيدها وتحرير فلسطين.

يقول فوزي القاوقجي في مذكراته: «لما وصل [المفتي] إلى بغداد التف حوله القادة من الضباط ولازموه، وأحيط بكثير من الترحاب والاحترام من جميع الأوساط العراقية، حتى أصبح مسكنه مقرًا للقادة الأربعة والضباط والوجهاء والعشائر، وارتفع بذلك إلى مستوى الزعماء الفاتحين، حتى أنه عندما حصل خلاف بين القبائل العراقية انتُدب المفتي لحل [المسألة] ولتسويتها. وهذه الناحية كانت نقطة ارتكاز للانطلاق إلى هدفه في زعامة العراق (...). ومن هنا فاتح المفتي صلاح الدين الصباغ في موضوع أن يكون العراق مركز الزعامة العربية لتحقيق وحدة عربية شاملة (...)، وتكون أول مرحلة إزالة الوصي، وأن يأخذ المفتي مكانه لتنفيذ مشروع الوحدة (...).

وفي يوم من الأيام حضر لعندي صلاح الدين [الصباغ] وفهمي سعيد، وأطلعاني على عزمهما إقالة الوصي وطرده، وأنهم ذاهبون الآن للتنفيذ، فبُهت ولم أصدق، وقلت لصلاح الدين: إنك تلعب بالنار، وإن إقدامك على هذا الأمر سيشق العراق، وستحدث فيه ثورات لا تُطفأ نارها. [وأخبرني صلاح] إن سماحته متفاهم مع زعماء سورية على إنشاء اتحاد من العراق وسورية ينطلق منها إلى إنقاذ فلسطين» (فوزي القاوقجي، مذكرات فوزي القاوقجي، تقديم وإعداد خيرية قاسمية، دار النمير، 1995، ص 627).

«مصطفى» والعمل السري

يروي الحاج أمين الحسيني، بُعيد وصوله إلى بغداد، ما يلي: «عُقد اجتماع على جانب عظيم من الأهمية في منزل العقيد محمود سلمان قائد الطيران حضرتُه مع زميلين من زملاء الفرقة 46 هما العقيدان فهمي سعيد وصلاح الدين الصباغ. وبعد مناقشة طويلة للوضع اتخذوا القرارات التالية:

1- تطبيق المعاهدة العراقية – الانكليزية بدقة، والمحافظة على الحياد بين المتحاربين [دول المحور والحلفاء].

2- تحاشي الاشتراك في الحرب بأي ثمن.

3- [.....].

4- إذا أعلنت اليابان والاتحاد السوفياتي الحرب على انكلترا، واستمرت هذه على موقفها العدائي للعرب، اضطر العرب جميعًا لحمل السلاح ضدها.

5- إذا حانت هذه الفرصة، تُعلن الثورة أولاً في فلسطين كما أُعلنت سنة 1916 في مكة والحجاز، فتكون بداية انطلاق ثورة عربية كبرى تحرر فلسطين أولًا، والبلدان العربية الأخرى من الاحتلال الإنكليزي والصهيونية» (أنظر: زهير الماردينى، ألف يوم مع الحاج أمين، مصدر سابق؛ وعبد الكريم العمر، مذكرات الحاج محمد أمين الحسيني، مصدر سابق، ص 58).

كان الصراع محتدمًا في الفترة التي هبط فيها الحاج أمين العراق بين الموالين لبريطانيا، أمثال الأمير عبد الإله ونوري السعيد ورستم حيدر وصالح جبر وشاكر الوادي وتوفيق السويدي وجميل المدفعي، وبين المعادين لها أمثال رشيد عالي الكيلاني وناجي السويدي وناجي شوكت، علاوة على الضباط القوميين. ويروي فوزي القاوقجي، في مذكراته، أن المفتي الحاج أمين الحسيني أقنع الضباط الأربعة الذين كانوا يكرهون الوصي عبد الإله، ولا يثقون به، ويشكّون في إخلاصه للعراق، بإطاحة الوصي، على أن يتسلم هو، أي المفتي، مركز الوصي لإقامة دولة عراقية تكون قاعدة للدولة العربية الكبرى (أنظر: مذكرات فوزي القاوقجي، مصدر سبق ذكره، ص 626). وفي تلك الأجواء، انفرد نوري السعيد بتصريح أعلن فيه أن العراق سيقطع علاقته بألمانيا، ويعلن الحرب عليها إذا أعلنت بريطانيا الحرب على ألمانيا رسميًا.

ولما اندلعت الحرب بادر نوري السعيد إلى قطع علاقة العراق بألمانيا، وسلّم الرعايا الألمان في العراق إلى البريطانيين الذين استاقوهم إلى الهند. وعند هذه النقطة انفجر الصراع بين الموالين لبريطانيا والمناوئين لسياستها، ثم تطورت الأمور بسرعة حتى وصلت في 1940/2/21 إلى قيام العقداء الأربعة (صلاح الدين الصباغ وكامل شبيب ومحمود سلمان وفهمي سعيد – وهم أركان الحاج أمين) بالسيطرة على مقر قيادة الجيش وثكناته ومراكزه، وأجبروا نوري السعيد على الاستقالة ليتولى رشيد عالي الكيلاني رئاسة الحكومة ثم يستقيل بعد فترة، فيتولى الحكومة بعده طه الهاشمي.

ثم صدرت إرادة ملكية في 1941/3/26 تقضي بنقل العقيد كامل شبيب من بغداد إلى الديوانية، ونقل مقر قيادة العقيد صلاح الدين الصباغ من بغداد إلى بعقوبة في محاولة لتشتيت أركان التيار القومي العربي وركائزه في الجيش العراقي، والذين كانوا يلوذون براية الحاج أمين الحسيني، ويناضلون سرًا في إطار «الحركة العربية».

ولما تعذّر إرغام القصر الملكي على التراجع عن هذه الإجراءات، بادر العقداء الأربعة في ليلة 1941/4/1 إلى احتلال وزارة البريد والبرق، وطوقوا قصر الوصي عبد الإله الذي فرّ إلى قاعدة الحبّانية ثم إلى البصرة، وأجبروا طه الهاشمي على الاستقالة، وشكلوا حكومة نصف عسكرية برئاسة رشيد عالي الكيلاني قوامها عشرة وزراء، نصف وزرائها أعضاء في الحركة العربية السرية هم يونس السبعاوي والعقداء الأربعة (راجع: شفيق جحا، الحركة العربية السرية، مصدر سابق، ص 320).

لم تكن هذه الحركة التي عُرفت باسم «ثورة مايس 1941» بداية شوطٍ جديد من النضال في سبيل حرية العراق واستقلاله، بل نهاية حقبة طويلة ممتدة طوتها الحرب العالمية الثانية ونتائجها الكارثية، خصوصًا في فلسطين.

ومهما يكن الأمر، فقد تصدّى نفر من بقي من جيل الثورة العربية الكبرى (1916) والثورة السورية الكبرى (1925) والثورة الفلسطينية الكبرى (1936) للقوات الانكليزية وقاتلوها بما امتلكوا من سلاح وعزيمة. وكان من بين هؤلاء من غير العراقيين ممدوح السخن وعبد القادر الحسيني من فلسطين (في منطقة أبو غريب في الأنبار)، وفوزي القاوقجي ومنير الريس وجابر عمر وعثمان الحوراني وسليمان المعصراني وعبد الهادي المعصراني وصبحي العمري ومحمود الهندي وجميل العلواني من سورية (في منطقة الرطبة) وحمد صعب من لبنان الذي استشهد في معارك الرطبة. وفي 1941/5/27 بدأ الجيش البريطاني هجومه على بغداد، فاضطرّ الحاج أمين الحسيني ورشيد عالي الكيلاني والعقداء الأربعة إلى مغادرة بغداد: الحاج أمين الحسيني وبعض أركانه إلى إيران، ومنها إلى تركيا، وواصف كمال وأنور القطب وأكرم زعيتر وعادل العظمة وسعيد فتاح الإمام نحو بادية الشام، وتمكنوا من اجتياز الحدود نحو سورية بمساعدة جبران شامية العضو في الحركة العربية السرية، واعتقل يونس السبعاوي وصدّيق شنشل، وأُصيب فوزي القاوقجي في رأسه وجسده جراء غارة جوية بريطانية على مجموعته المنسحبة في بادية دير الزور.

بانهيار حركة مايس 1941 انفرط عقد الجميع، وتبعثرت الحركة العربية السرية، ولا سيما بعد إعدام رئيسها يونس السبعاوي والضباط الأربعة، وتشرّد مئات من أعضائها، وانتهى «التشكيل القومي» نهائيًا، وفرّ أنصار الحاج أمين الحسيني إلى خارج العراق، وتفرقوا أيدي سبأ.

وفي تلك الأثناء، كانت بريطانيا قد سيطرت على سورية في يوليو/ تموز 1941، وقضت على حكومة فيشي في سورية ولبنان في عملية Exporter في 1941/6/8 بقيادة الجنرالين شارل ديغول وجورج كاترو، وطردت المفوض السامي الفرنسي هنري دانتز، وأعادت الوصي على عرش العراق عبد الإله إلى قصره في بغداد، ونصّبت حكومة عميلة برئاسة جميل المدفعي، فلم يبقَ، والحال هذه، أي شيء لدى التيار العروبي المنظّم وتشكيلاته السرية، فتفرق رجاله هنا وهناك يفتشون عن ملاذات آمنة، وانخرط بعضهم في البحث عن مناصب في الحكومات الجديدة خصوصًا في لبنان وسورية، وتخلى كثيرون عن أحلامهم في الوحدة العربية، وراحوا يبذلون قصارى جهدهم في الدفاع عن الكيانات التي أنشأتها اتفاقية سايكس - بيكو وكرّسها مؤتمر سان ريمو، بعدما صاروا وزراء وسفراء في تلك الدول الجديدة المتصالحة مع الاستعمارين، الانكليزي والفرنسي.

(كاتب عربي في بيروت)

> بعد اندلاع الحرب العالمية الثانية، شرعت بريطانيا في التشديد على سلطة الانتداب الفرنسي في سورية ولبنان لمنع الفلسطينيين من الاستمرار في نشاطهم السياسي والعسكري

> لم تكن «ثورة مايس 1941» بداية شوط جديد من النضال في سبيل حرية العراق واستقلاله فقط، بل نهاية حقبة طويلة ممتدة طوتها الحرب العالمية الثانية

لماذا العراق؟

كان الصراع محتدماً في العراق في فترة هبوط مفتي القدس الحاج أمين الحسيني فيه بين الموالين لبريطانيا، أمثال الامير عبدالإله ونوري السعيد ورستم حيدر وصالح جبر وشاكر الوادي وتوفيق السويدي وجميل المدفعي، وبين المعادين لها أمثال رشيد عالي الكيلاني وناجي السويدي وناجي شوكت. ويروي القاوقجي ان الحسيني اقنع الضباط الاربعة الذين كانوا يكرهون الوصي عبدالإله، ويشكّون في إخلاصه للعراق، بإطاحته، على أن يتسلم المفتي الحسيني مركز الوصي لإقامة دولة عراقية تكون قاعدة للدولة العربية الكبرى.